ـــ بوضوح كامل ـــ بعد عملية الالحاق الهاشمي للضفة الغربية اثر حرب العام ١٩٤٨ ، ثم سياسات النظام الاردني بعد هذا التاريخ في تبديد ومصادرة الهوية الوطنية للجماهير الفلسطينية الواقعة تحت سيطرته ، سواء عبر عملية التجنيس ، او عبر عملية تفتيت البنية الاقتصادية ـــ الاجتماعية للفلسطينيين الواقعين تحت سيطرته في الضفة الغربية والضفة الشرقية ، او عبر سياسات القمع والاضطهاد التي مارستها أجهزة قمعه لكل القوى الوطنية في الاردن .

ان هذه الحقيقة لم تكن غائبة عن ذهن كل القيادات الفلسطينية التي تصدرت العمل الفلسطيني بعد العام ١٩٦٧ ، ولا سيما أن تجربة العمل الفدائي الفلسطيني في الاردن قبل العام ١٩٦٧ ، كانت تؤكد الموقف العدائي للنظام الاردني ضد حركة التحرر الوطني الفلسطينية وضد أية ممارسات نضالية وكفاحية من هذا الشعب ضد العدو الصهيوني . لقد مرر « النظام » موقفه العدائي من العمل الفدائي قبل العام ١٩٦٧ تحت مظلة الموقف العربي العام ، الذي كان يرفض استراتيجية العمل الفدائي الفلسطيني ويصر على احتوائه ضمن ما كان يسمى بالقيادة العربية الموحدة .

وبعد حرب العام ١٩٦٧ ، حاول « النظام » ان يستمر في موقفه العدائي السابق بنوع من المرونة ، فمارس سياسة التضييق ومحاولة وضع العمل الفدائي ضمن دائرة سيطرته المباشرة ، ولما لم يستطع ، لجأ الى سياسة الضرب المباشر ، فقامت قواته بتطويق قواعد المقاومة في الاغوار في شباط « فبراير » ١٩٦٨ ، في وقت لم تصبح فيه المقاومة بعد ، ظاهرة سياسية وشعبية في الاردن . ولما فشلت محاولات « النظام » هذه ، حاول العدو الصهيوني ان يقوم بتوجيه ضربة مباشرة وقوية للمقاومة قبل أن تستكمل شروط امكانية بقائها ، فكانت معركة الكرامة في ٢١ آذار « مارس » ١٩٦٨ والتي فشل العدو الصهيوني في تحقيق أهدافه منها . لقد كان النظام الاردني يعول على نجاح الهجمة الاسرائيلية في انهاء المقاومة قبل أن تتأكد وتمتلك شروط البقاء . ولما فشل العدو الصهيوني في تحقيق ذلك ، انتهج « النظام » سياسة طابعها التكتيكي ، الاستعداد لدعم المقاومة وعرض لتنسيق العلاقات معها ، وطابعها الاستراتيجي ، سبر امكانات احتوائها مستقبلا او تهيئة ظروف أكثر ملاءمة لضربها .

معركة الكرامة بين النصر وأوهام التعايش

لقد شكلت معركة الكرامة ـــ بالنتائج التي اسفرت عنها ـــ نقطة تحول هامة في وضع المقاومة الفلسطينية في الاردن على صعيدين . فعلى **الصعيد الاول** ، ساهمت معركة الكرامة في ابراز المقاومة المسلحة سياسيا واعطائها زخما جماهيريا أكبر بكثير من قدرتها الحقيقية على استيعاب هذا الزخم وتأطيره وتنظيمه بشكل فاعل . ونتج عن هذا الوضع معطيات عديدة أهمها (١) تقدير خاطىء للقوة الذاتية جرى تكريسه عبر سياسات النفخ الاعلامي العربي والتي لم يكن الاعلام الفلسطيني بعيدا عن المشاركة فيها . لقد دفع هذا التقدير الخاطىء للقوة الذاتية بسياسات المغامرة والمراهقة اليسارية الى الامام من ناحية ، كما ولد من الناحية الاخرى ، شعورا زائدا بالثقة بالنفس لدى بعض القيادات الفلسطينية عبرت عنه في الدخول ، بدون خوف وبشكل مبكر ، في شبكة العلاقات العربية وتعقيداتها ومداخلاتها . (٢) خروج المقاومة الى العمل العلني الواسع دون أن تضع في اعتباراتها حسابات « النظام » واحتمالات حركته في المستقبل . ان اندفاع المقاومة الى العمل العلني الواسع بعد معركة الكرامة ، هو اندفاع مبرر ومشروع ، لأنه يتيح امكانات أكبر للحركة والتعبئة والتنظيم ، الا ان هذا الاندفاع حتى يحقق كامل أهدافه ، كان يجب أن يتحدد عبر تصورات المقاومة المسبقة